الأستاذة: د. أمينة أونيس
كلية الآداب واللّغات
قسم اللّغة والأدب العربي
السنة الدراسية: 2023/2022.
السداسي الأوّل

المادة: مدخل إلى الأدب المقارن (محاضرة)
الاختصاص: دراسات أدبية
السنة: الثانية ليسانس.
الأفواج: 01 + 02 + 03 + 04.

محاضرة رقم: 04

المدرسة الفرنسية

تُعتبر المدرسة الفرنسية التقليدية هي أول اتجاه ظهر في الأدب المقارن، وكان ذلك في أوائل القرن التاسع عشر واستمرت سيطرتها كاتجاه وحيد في الأدب المقارن إلى غاية أواسط القرن العشرين، أي قرابة القرن من الزمان تقريبا حيث ظهرت اتجاهات أخرى نازعتها هذا التفرد.

وللعلم فقد قامت هذه المدرسة على المنهج التاريخي، ولذلك تسمى بالمدرسة التاريخية، ويُعرّف فرانسوا غويار أحد أهم أعلام الأدب المقارن على أنّه "تاريخ العلاقات الأدبية الدولية" أو هو "العلم الذي يؤرخ للعلاقات الخارجية بين الآداب". وتقوم دراستها على استقصاء ظواهر عملية التأثير والتأثر بين الآداب القومية المختلفة ورصد الظروف الخارجية التي تحيط بكل من الأديب أو بالعمل الأدبي سواء؛ التاريخية أو السياسية أو الاجتماعية أو الاقتصادية أو الفكرية أو الروحية والتي تسهم في حدوث ذلك التأثير.

ولقد وضعت هذه المدرسة شروطا صارمة للدراسة المقارنة، فلكي تدخل أي دراسة من الدراسات تحت مجال الأدب المقارن لابد من توفر الشروط الآتية:

- **أولا: أن تكون الدراسة بين أدبين قوميين أو أكثر**، ولا تكون إلاّ في مجال الأدب، أي أنّ الدراسة التي تقبل كدراسة تدخل تحت مجال الأدب المقارن، هي تلك التي تقارن بين الأعمال الأدبية فقط، فتكون بين عملين (أدبيين) أو أكثر، بشرط توافر الاختلاف في القومية بين هذه الآداب، ومعيار القومية عند هذه المدرسة هو: "اللغة"، فلا تجوز المقارنة بين عملين أدبيين كُتبا بلغة واحدة مهما كان الاختلاف العرقي أو الجغرافي أو أي اختلاف آخر، لأنّ هذه المدرسة تعتبر أنهما من قومية واحدة والمقارنة بينهما هي من قبيل الموازنة ومجالها هو: النقد الأدبي، وليس الأدب المقارن، وبناء على هذا فلا يجوز - حسب هذه المدرسة - أن نقارن بين عمل أدبي لغوستاف فلوبير، أو غي دو موباسان الفرنسيين، مع عمل أدبي كتب باللغة الفرنسية لمحمد ديب، أو كاتب ياسين، أو مالك حداد، أو آسيا جبار أو غيرهم من الكتاب الجزائريين الذين يكتبون باللغة الفرنسية، لأنّهم من القومية نفسها أي: (الفرنسية).

- **ثانيا: أن يتوفر الرابط التاريخي بين العملين الأدبيين**، بمعنى أنّ عملية المقارنة في إطار الأدب المقارن لا تكون إلاّ بين عملين أدبيين أو أكثر ثبت تاريخيا أن أحدهما قد تأثر بالآخر، فلا يجوز حسب هذا المفهوم

مقارنة الأعمال الأدبية حتى وإن كانت تنتسب إلى قوميات مختلفة وكتبت بلغات مختلفة وكانت متشابهة، مالم يتوفر الرابط التاريخي بينها، الذي يعد الأهم والجوهري ولا تتم الدراسة في إطار الأدب المقارن إلى بتوفره.

- **ثالثا: أن يكون المؤثر أدبا موجبا والمتأثر أدبا سالبا**، إنّ المدرسة الفرنسية التقليدية قسمت آداب وثقافات العالم إلى قسمين؛ قسم موجب وقسم سالب، وربطت عملية التأثير والتأثر بحالة الاستعمار، وعلاقة الدول المستعمِرة بالدول المستعمَرة، فترى أن آداب وثقافة الدول المستعمَرة هي دائما الأقوى وهي دائما المؤثرة وعلى ذلك يكون أدبها موجبا، وأن أدب وثقافة الدول المستعمَرة هي الضعيفة، وبالتالي فهي المتأثرة دائما، وعليه فقد اعتبرت أن ثقافات وآداب أوروبا الغربية هي الموجبة وبالتالي هي المؤثرة دائما لأنّها هي القوية وهي التي تمثل الحضارة، أما باقي ثقافات وآداب العالم الأخرى، وخصوصا العربية والافريقية فهي تتأثر فقط باعتبارها ضعيفة ولا تمتلك ما تقدمه للآداب القومية الأخرى.

إنّ من يمعن النظر في الأسس والشروط التي وضعتها المدرسة الفرنسية التقليدية للدراسة المقارنة يلمس بكل وضوح طغيان وتقدم البعد الإيديولوجي فيها عن البعد الأكاديمي العلمي، لأنّ تقسيم الآداب والثقافات العالمية إلى موجبة وسالبة، وربطها بعملية الاستعمار، أي: ثقافة وأدب الدول المستعمرة موجبة، وثقافة وأدب الدول المستعمرة سالبة)، وجعل الآداب والثقافات الأوروبية - وطبعا على رأسها الثقافة والأدب الفرنسيين - هي الموجبة باعتبارها المستعمرة المالكة للأدب الراقي والناقلة للحضارة والثقافات والآداب العربية والإفريقية والأسيوية هي السالبة لأنّها ثقافة وآداب الدول المستعمرَة ولا تملك ما تقدمه للآداب القومية الأخرى.

وكذلك ما يتعلّق بربط القومية بعنصر اللّغة فقط وإهمال كل العناصر الأساسية والجوهرية الأخرى المشكلة للقومية والتي تعتبر أكثر اهمية من عنصر اللّغة، وليس له مبرر ولم يُبْن على أساس علمي وإنما بني على أساس أيديولوجي بحت الغرض الأساس منه هو ترسيخ الاستعمار الفكري الأوروبي عموما والفرنسي خصوصا.

على هذا الأساس والطرح غير العلمي (الأيديولوجي) بالذات هو الذي عرَّض هذه المدرسة للانتقادات الكثيرة ن الفرنسيين أنفسهم قبل غيرهم والذي كان على رأسهم المقارني الفرنسي رينييه إتامبل الذي رفض وانتقد بشدة هذه الأسس والمبادئ التي قامت عليها المدرسة التقليدية، هو ذات السبب الذّي جعل جيلا جديدا من المقارنين الفرنسيين ينشقون عن تلك الأفكار التي تبنتها هذه المدرسة ويبتعدون عن تلك المبادئ والأسس (الأيديولوجية) التي قامت عليها أمثال: برونيل، وبيشوا، ورسو.